تلاميح السيرة النبوية في الشعر الجاهلي

الحافظ محمد سرور*

الحافظ افتخارأحمد**

Abstract

Arabic poetry before the dawn of Islam is called pre-islamic poetry. This poetry has significant place in Arabic literature because of its ability to portray Arabian codes of life. Numbers of poets wrote about the Prophet's biography and eulogy after His (Peace Be Upon Him) Prophethood. In fact this process continues till the present day where countless poets praise and pray tribute to Holy Prophet (Peace Be Upon Him) in their poetry. In the same way, when we come across pre-islamic poetry traces of life and actions of Hazrat Muhammad (Peace Be Upon Him) before claim of Prophethood comes forward. Most of the times pre-islamic poetry deals with early life events include childhood, youth and incidents of piousness and virtue of Holy Prophet (Peace Be Upon Him). In the same way, accounts of bailment and truth fullness of Holy Prophet (Peace Be Upon Him) are also discussed in detail in the perspective of pre-islamic poetry.

Keywords: Biography before Prophethood, Pre-islamic poetry, Eulogy, Piousness.

التعريف بالبحث:

وكانت السيرة النبوية قبل البعثة تؤكد نبوته وصدق ما جاء به، فقد عُرِفَ بأنه أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، حتى سمي في قومه الصادق والأمين. ونجد هذه الصفات الجميلة في الكلام المنثور والأدب غير الموزون، كما في قول خديجة رضي الله عنها: "كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتكَسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق". وليس غريباً لو وجدنا الشعر العربي الجاهلي يدلّ على السيرة النبوية وحياة النبي ﷺ المباركة قبل أن يرسل إلى الناس كافة.

---

*الأستاذ المشارک بالقسم العربي،جامعة بهاء الدين زكريا ملتان-

**الأستاذ المساعد بالقسم العربي،جامعة الكلية الحكومية فيصل آباد-

أهداف البحث:

- معرفة النبيّ ﷺ معرفةً شاملةً، كالتعرّف إلى نسبه، ومولده، ونشأته قبل البعثة.
- التعرف على الوظائف النبوية قبل البعثة، مثل: رعاية الغنم في صغره، التجارة، والأمانة، والصدقة.
- معرفة الشعر الجاهلي كمصدر للسيرة النبوية ﷺ.
- الانتفاع وأخذ الدرس والعبر من سيرة الرسول عليه السلام، فهي مليئةٌ بذلك في كلّ المجالات ولجميع الفئات.

وهذه نبذة من الأبيات العربية الجاهلية تدلّ على السيرة الطيبة في حق نبينا رسول الله الكريم ﷺ قبل أن تجب له النبوة.وهذه التلاميح قد بدت على ألسنة الشعراء الذين سبقوا بداية الدعوة الإسلامية، فمنهم: آمنة بنت وهب، وحليمة السعدية، والشيماء، وعبد المطلب بن هاشم، وأبو طالب بن عبد المطلب،و ورقة بن نوفل.

سيدتنا آمنة بنت وهب:

آمِنة بنت وَهْب، وأبوها: وهب بن عبد مناف بن زهرة، وأمّها: بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان. وهي أم خاتم النبيين وتوفي زوجها عبد الله وهي حامل بالنبي محمد ﷺ.[1] خرجت آمنة بولده إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه من بني النجار بعد سبع سنين من عام الفيل، وتوفيت بعد ذلك بشهر في الأبواء، وكانت وفاتها قبل الهجرة النبوية ب ٤٦ سنة.[2] وقد خرج مني نور يوم الإثنين فقد ملأت قصور البصرى من أرض بلدة الشام فإذا وضع فسميه محمداً وقالت: فكان ذلك مما يقن عندي الحمل، ثم أهملني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك.[3] فقال قولي:

---

[1] ابن سعد: محمد بن سعد، "**الطبقات الكبرى**"، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،(بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م)،١: ٨٠

[2] ابن هشام: عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط ٢، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م)،١: ١١٠؛ابن الأثير: علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،(بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)،١٤١٧؛ الزرقاني: محمد بن عبد الباقي، "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"،(بيروت،لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م)،١: ٢٠٦

[3] بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن، **أم الرسول محمد آمنة بنت وهب**،(مصر: دار الهلال،١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م)،٧٩؛ النويري: أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**،(القاهرة،مصر: دار الكتب والوثائق القومية، ط ١، ١٤٢٣هـ)، ١٦: ٥٧؛ الزرقاني: "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"،١: ٢٠٦

أُعِيْذه بِالْوَاحدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ
فِيْ كُلِّ بَرٍّ عَابِدِ وَ كُلِّ عَبْدٍ رَائِدِ
نُزُوْلُ غَيْرِ زَائِدِ يُزَوِّدُ كُلَّ رَائِدِ
فَإِنَّهُ عَبْد الْحَمِيْد الْمَاجِدِ حَتَّى أَرَاهُ قَدْ أَتَى الْمَشَاهِدِ[4]

وقال ابن عباس رضى الله عنه: رأت آمنة بنت وهب وهي حامل بنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل لها: يا آمنة إنك حبلى بسيد العالمين وخير البرية، فإذا ولدتيه فسميه محمداً أو أحمد وعلقي عليه هذه وانتبهت وعند رأسها صحيفة من الذهب مكتوب عليها.[5] فقالت:

أُعِيْذه بِالْوَاحدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ
وَ كُلِّ خَلْقٍ زَائِدِ مِنْ قَائِمٍ وَ قَاصِدِ
عَنِ السَّبِيْلِ حَائِدِ عَلَى الْفَسَادِ جَاهِدِ
مِنْ نَافِثٍ أَوْ عَاقِدِ وَ كُلِّ خَلْقٍ مَارِدِ
يَأْخُذُ بِالْمَرَاصِدِ فِيْ طُرُقِ الْمَوَارِدِ[6]

وكانت حليمة السعدية قد أرضعت النبي ﷺ، فلمّا خرجت به إلى البادية، وقفت أمه الكريمة آمنة بنت وهب تؤديه وترقيه قائلة:[7]

أعيذه بالله ذي الجلال من شر مامر على الجبال
حتى أراه حامل الحلال ويفعل العرف إلى الموالي

وغيرهم من حشوة الرجال[8]

---

[4] ابن إسحاق: "السيرة النبوية"،٤٥؛ محمد بن رياض،**صحيح الجامع المضنف للبيهقي**،(بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية)، ١: ٢٤٧

[5] ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، المحقق: علي محمد البجاوي،(بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)،١: ٣٠

[6] الصالحي: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى:٩٤٢هـ)، **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،(بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة، الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)،١: ٣٢٨؛ الزرقاني: "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"،١: ٢٠٠

[7] فتحي ذياب سبيتان، **مفاهيم وأساليب تدريس التربية الإسلامية**، الجنادرية للنشر والتوزيع،(مكة المكرمة: الطبعة الأولى، ٢٠١٠م)،١١٦

[8] رجب محمود: **تهذيب الطبقات الكبرى**،(القاهرة،مصر: الطبعة الأولى، ١١٣١هـ - ٢٠١٠م)،٤٦؛الصفوري: "نزهة المجالس ومنتخب النفائس" تحقيق محمد سالم هاشم ، طبعة كاملة الجزءان،(بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية، ١٩٧١م)،٧٩

قالت آمِنة عند وفاتها: روى أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة بنت وهب في علتها التي ماتت فيها وسيدنا محمد ﷺ غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام	يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام	فودى غداة الضرب بالسهام
بمأءة من إبل سوام	
إن صح ما أبصرت فى المنام	فأَنت مبعوث على الأنام
من عند ذى الجلال و الإكرام	تبعث فى الحل و فى الحرام
تبعث بالتحقيق و الإسلام	دين أبيك البر إبراهام
فالله أنهاك عن الأصنام	أن لا تواليها مع الأقوام[9]

قالتها في حال النزع وهي تودع ابنها المصطفى ﷺ بموقع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة وعمره ﷺ ست سنين وقيل أربع.

كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ	وَ كُلُّ جَدِيْدٍ بَالٍ
وَ كُلُّ كَثِيْرٍ يَفْنِيْ	وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرَى بَاقٍ
وَ قَدْ تَرَكْتُ خَيْرًا	وَ وَلَدْتُ طَهْرًا[10]

حليمة السعدية:

حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب بن عبد الله، هي مرضعة النبي[11]، وزوجها الحارث بن عبد العُزّى من قبيلة هوازن[12]، وأسلمت هي وزوجها بعد بعثة النبي (ص)[13]، قيل: أنها عمّرت دهراً طويلاً

---

[9] الصالحي: **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد**،٢: ١٢١

[10] السبكي: محمود محمد الخطاب (المتوفى١٣٥٢هـ)، **المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود** تحقيق: أمين محمود الخطاب، مؤسسة التاريخ العربي،(بيروت، لبنان: الطبعة الثالثة،١٣٩٤هـ)،٩:٩٤؛ السبكي: محمود محمد الخطاب (المتوفى١٣٥٢هـ)، **الدين الخالص**، يوسف أمين الخطاب،(بيروت، لبنان:١٩٨٥م)،٨: ٨١؛الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، جماع أبواب بعض الأمور الكائنة بعد مولده وقبل بعثته ، الباب الأول:في وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له،٢: ١٢١

[11] الأمين: محسن، **أعيان الشيعة**،(بيروت، لبنان: دار التعارف، د.ط ،١٤٠٦هـ)،١: ٢١٩

[12] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**،١: ٩٠

ومكثت في المدينة المنورة حتى توفيت بعد السنة الثامنة من الهجرة، وقيل: إنّ قبرها شمال شرق قبر عثمان بن عفان في البقيع[14]

قالت:

يَا رَبِّ إِذَ أَعْطَيْتَهُ فَابْقِهِ وَأَعْلَهُ إِلَى الْعُلاَ وَارْقِهِ

وَادْحِضْ أَبَاطِيْلَ الْعدَاءِ بِحَقِّهِ[15]

الشيماء بنت الحارث:

هي ابنة حليمة السعدية التي اشتهرت بالشيماء أخت الرسول[16] وكانت حذافة أكبر من رسول الله صلّ الله عليه وسلم بست سنوات.[17] وكانت تهتم برسول الله وتراعيه ، فتحمله أحيانا إذا اشتد الحر، وطال الطريق، و تتركه أحياناايدرج هنا وهناك، ثم تدركه فتأخذه بين ذراعيها و تضمه إلى صدرها، وأحيانا تجلس في الظل، فتلعبه[18]. قال ابن الحجر: لما كان يوم هوازن ظفر المسلمون وأخذوا قومهم وأسلمت مع قومها يوم هوازن وقالت يارسول الله إني لأختك وقالت عضة عضضتها في ظهري، فبسط رسول الله لها رداءه ثم قال لها: ههنا، فأجلسها عليه وخيرها فقال: إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك فارجعي إلى قومك، فقالت بل تمتعني وتردني إلى قومي، فمتعها وردها إلى قومها.[19] لما توفي رسول الله ارتد قومها (بنو سعد) عن الإسلام، فوقفت موقفًا شجاعًا، تدافع عن الإسلام بكل جهدها؛ حتى أذهب

---

[13] البكري: حسين بن محمد،"**تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**،(بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية،ط ١،٢٠٠٩م)،١: ٤١٩

[14] الأميني: محمد أمين،"**بقيع الغرقد في دراسة شاملة**،(طهران–ايران:دار الحديث، ط١،١٤٢٨ هـ)،١: ١٤٣

[15] الكتاني: محمد عبد الحي، **نظام الحكومة النبوية المسمى التراكيب الإدارية**، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،(بيروت، لبنان: مبحث: المهد للصبيان)،٢: ٤٤

[16] الصيري: فتحي فوزي عبد المعطي، **أمهات في حياة الرسول**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوضيع، بمصر،٣

[17] ابن هشام: **السيرة النبوية**،٦٦ ، ٦٧

[18] ابن كثير: **البداية والنهاية**٤: ٣٥٢

[19] العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (المتوفى:٨٥٢هـ)،**الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،(بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة، الأولى، ١٤١٥هـ)،٤: ١٤

الله الفتنة عن قومها،[20] وكانت عابدة زاهدة اشتهرت بمديحها وشعرها في رسول الله ودين الله عز وجل ، وتوفيت في العام التاسع من الهجرة[21]

فقالت:

يَا رَبَّنَا أَبْقِ لَنَا مُحَمَّدَا حَتّٰى أَرَاهُ يَافِعاً وَ أَمْرَدَا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّداً مُسَوَّدَا وَاكْبِتْ أَعَادِيْهِ مَعاًوَالْحُسَّدَا
وَأَعْطِهِ عِزّاً يَدُوْمُ أَبَداً[22]

وقالت أيضاً:

مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْبَشَرْ مِمَّنْ مَّضٰى وَ مَنْ غَبَرْ
مَنْ حَجَّ مِنْهُمْ اَوِ اعْتَمَرْ اَحْسَنُ مِنْ وَّجْهِ الْقَمَرْ
مِنْ كُلِّ اُنْثٰى وَ ذَكَرْ مِنْ كُلِّ مَشْبُوبٍ اَغَرّ
جَنِّبْنِى اللّٰهُ الْغِيَرْ فِيْهِ وَاَوْضِحْ لِىَ الْاَثَرْ[23]

وقالت أيضاً:

هٰذَا أَخٌ لِيْ لَمْ تَلِدْهُ أُمِّيْ وَلَيْسَ مِنْ نَّسْلِ أَبِيْ وَعَمِّيْ
فَدَيْتُه مِنْ مُخْوِلٍ مُعِمّ فَأَنْمِهِ اللّٰهُمَّ فِيْمَا تُنْمِيْ[24]

عبد المطلب بن هاشم:

عبد المطلب بن هاشم، اسمه "شيبة"، وكنيته "أبو الحارث".[25] هو جد رسول الله لأبيه، ولد في يثرب سنة ٥٠٠م، ثم انتقل في السابعة من عمره إلى مكة، وبقي فيها،[26] كفل رسول الله ﷺ في صغره، عندما

---

[20] محمد حامد محمد، **صور من حياة الصحابيات**، دار العلوم للنشر والتوزيع، بمصر مبحث: الشيماء بنت الحارث السعدية، ١٢٢

[21] ابن كثير، **البداية والنهاية** ٤: ٣٥٢

[22] العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**،٨: ٢٠٦

[23] الصالحي، **سُبُل الهدىٰ والرَّشاد**،١: ٣٨١

[24] الحلبي، **السيرة الحلبية**،١: ١٥٠

[25] ابن عبد البر، **الاستيعاب**،١: ٢٧

[26] ابن الجوزي: عبد الرحمن بن أبي الحسن،"**المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطاومصطفى عبدالقادر عطا،(بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٢هـ)،٢: ٢٨٢

توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب وأمه آمنة بنت وهب[27] توفي في مكة سنة٥٧٩م وكان حينها عمر رسول الله ﷺ ثماني سنوات[28] ودفن في مقبرة الحجون بجوار قبر جده قصي بن كلاب.[29]

وأنشد:

الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغُلَامَ الطّيّبَ الْأَرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِتْيَانِ حَتّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلّ ذِي شَنَآنِ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ حَتّى أَرَاهُ رَافِعَ السّانِ
أَنْتَ الّذِي سُمّيت فِي الْقُرْآنِ فِي كُتُبٍ ثَابِتَةِ الْمَثَانِي
أحمد مكتوب على اللسان[30]

وتجلى دعوة الجد الصادقة أن يحفظ الله هذا الوليد بعد أن أتت به مرضعته لترده إلى أهله في مكة ويضل عنها ويلتمسه جده ولا يجده ويقول:

رب رد إلي راكبي محمد رده إلي واصطنع عندي يدا[31]

وفي رواية، قال أيضًا:

يا رب إن محمد لم يوجد فَجَمعُ قَوْمِيْ كُلُّهُمْ مُبدد[32]

فكأن الجد عبد المطلب يصور ضياع كل القوم وتفرقهم ، بضياع هذا الغلام المبارك وعانقه جده وهو يبكي، ونحر عبد المطلب عشرين جزوراً وأطعم أهل مكة.[33] وكان عبد المطلب يؤثر محمدا، ويخشى عليه بعد وفاته، وقد أوصى بكفالته ابنه أبا طالب وفي ذلك يقول:

---

[27] اليعقوبي: أحمد بن إسحاق، **تاريخ اليعقوبي**،(بيروت،لبنان: د.ن، ١٣٧٩هـ)،٢: ١١

[28] الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**،(طهران،إيران: دار أساطير، ط٥، د.ت)،٣: ٨٠٢

[29] المسعودي: الحسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،(إيران، دار الهجرة،ط٢،١٤٠٨هـ)،٢: ١٠٩

[30] ابن كثير: "السيرة النبوية"١: ٢٠٨

[31] الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشهير والأعلام**، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدميري،(لبنان: دار الكتاب العربي)،٥١ ؛البلاذري: "أنساب الأشراف"١: ٨٢

[32] الهيثمي، **المنح الملكية في شرح الهمزية**، تحقيق بسام محمد بارود، دارالحاوي للطباعة والنشر،(بيروت: الطبعة الأولى، ١٩٩٨)،٥: ٢٥٣

أُوْصِيْكَ يَا عَبْدَ مَنَاف بَعْدِيْ بِمُؤْتِمٍ بَعْدَ أَبِيْهِ فَرْدِ
فَارَقَهُ وَهُوَ ضَجِيْعِ الْمَهْدِ فَكُنْتُ كَالْأُمِّ لَهُ فِي الْوَجْدِ
تدنيه من أحشَائِهِ والْكَبِدِ حَتَّى إِذَا خِفْتَ مِدَادالْوَعْدِ[34]

أبو طالب بن عبد المطلب:

اسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم[35]، وكنيته أبو طالب، عم النبي، وشاعر جيد الكلام، وكان عبد الله والد الرسول وأبو طالب أخوان لأب وأم، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ[36].وقد كفل الرسول بعد وفاة جده، وأحسن تربيته، ويذكر أنه إذا رأى محمدا بكى وقال: إذا رأيته ذكرت أخي فقد كان شديدا الحب له والحنو عليه.[37]

لقد كان على شدة فقره أنبل إخوته وأكرمهم وأعظمهم مكانةً في قريش، ولقد قام برعاية محمد أفضل قيام. فكان يخصه بالطعام وكان أولاده يصبحون رمصاً شعثاً، ويصبح رسول الله كحيلاً دهيناً[38]. كان محمد شديد التعلق بمعمه أبي طالب، وكان لا يفارقه أبدا، وأراد أبو طالب الخروج للتجارة إلى الشام، ولما تهيأ للمسير صب به الرسول، فرق له عمه وكان أن خرج به معه.[39]

ومما قاله أبو طالب في ذلك:

أَلَمْ تَرَنِيْ مِنْ بَعْدِ هَمٍّ هَمَمْتهُ بِفُرْقَةِ حرّ الوالدينِ كِرَام
بِأَحْمَدَ لَماَّ أَنْ شَدَدْتُ مَطِيَّتِيْ لِتَرْحَلَ إِذْ وَ دَعْتُهُ بِسَلاَم
بَكَى حُزْناً وَالْعِيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا وَ أَمْسَكْتُ بِالْكَفَّيْنِ فَضْلَ زِمَامِ
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ، ثُمَّ رَقْرَقَت عَبْرة تَجُوْدُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ذَات سِجَام
فَقُلْتُ تَرُوْحُ مَعَ الْعِيْرِ الَّتِيْ رَاحَ أَهْلُهَا شَآمِي الْهَوَى، وَالأَصْلُ غَيْرُ شَآمِي[40]

---

[33] الهيثمي، **المرجع السابق**،٥: ٢٥٣

[34] ابن إسحاق، **السيرة النبوية**، تحقيق أحمد فريد المزيدي،(بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية،)،١،٢: ١٢٠

[35] شامي، يحي، **موسوعة شعراء العرب**،(بيروت: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٩م)،١: ٢٣١

[36] ابن هشام، **السيرة النبوية**،١٦٤

[37] التنوجي:محمد، **ديوان أبي طالب عم النبي**،(بيروت، لبنان: دارالكتب العلمية،الطبعة الأولى،١٩٩٤م)،١٠

[38] ابن سعد، **سيرة الرسول**،(بيروت، لبنان: دار الفكر للجميع،١٩٦٨م)،١٠

[39] السهيلي، **الروض الأنف**،٢٠٨

[40] التنوجي، **ديوان أبي طالب عم النبي**،٨٧

وروى ابن عساكر أنه: في سنة قحط قالت قريش: يا أبا طالب: أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنة تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بإصبعه، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وانفجر الوادي، وأخصب النادي.[41] وروى الإمام البخاري عن أَبِي قُتَيْبَة ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ أَبِي طَالِبٍ:

وَأَبْيَض يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ[42]

ويذكر أيضاً وهو صغير:

إن الأمين محمدا في قومه عندي يفوق منازل الأولاد

لما تعلق بالزمام ضممته والعيس قد قلصن بالأزواد

فارفضّ من عيني دمع ذارف مثل الجُمان مفرق ببداد

راعيتُ فيه قرابة موصولة وحفظتُ فيه وصيَّة الأجداد[43]

وهو هنا يشير إلى صفة الرسول في قومه الأمين وما حبه وتفضيله له على أبنائه إلا لما كان يمتاز به ولما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، فشب رسول الله والله تعالى يحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية. حتى بلغ أن كان رجلا، أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جوارا وأعظمهم أمانة حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين.[44]

رقيقة بنت أبي صيفي:

رقيقة بقافين مصغرة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف هي أم مخرمة بن نوفل.[45] وهي بنت عم العباس وإخوته من بني عبد المطلب[46] قالت: سمعت في المنام قائلا يقول: يا معشر قريش إن هذا

---

[41] الهيتمي، **المنح المكية في شرح الهمزية**،١: ٢٨٦

[42] البخاري، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**،(المملكة السعودية العربية، رياض: مكتبة دار السلام، كتاب الاستسقاء،باب سؤال الناس الاستسقاء إذا قحطوا، حديث:٩٧٧

[43] التنوجي، **ديوان أبي طالب عم النبي**،٣٨

[44] ابن هشام، **السيرة النبوية**،١: ١٦٧

[45] الصفدي: صلاح الدين بن ايبك، **كتاب الوافي بالوفيات**،(بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي،١٤: ٩٤

[46] الوائلي: عبد الحكيم، **موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين**،(عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع،ط١،٢٠٠١)،٣٦

النبي المبعوث منكم وهذا إبان خروجه وبه يأتيكم بالحيا والخصب، فانظروا رجلا من أوسطكم نسبا طوالا عظاما، أبيض مقرون الحاجبين فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن، ثم ارقوا إلى أبي قبيس، ثم يقدم هذا الرجل ويستسقي وتؤمنون فإنكم ستسقون وأصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا الصفة، صفة عبد المطلب واجتمعوا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي وهو غلام فتقدم عبد المطلب وقال: اللهم، هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنات إمائك قد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشقت على الأنفس فأذهب عنا الجدب، وائتنا بالحيا والخصب، فما برحوا حتى سالت الأودية وبرسول الله سقوا.[47]

فقالت رقيقه بنت أبي صيفي:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالْماء جوني له سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر
مبارك الأمريستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر[48]

هذه كانت واقعات حياته قبل البعثة – في طفولته – وفي شبابه، تصور لنا أدق تفاصيل حياته، وفي سلوكه وسيرته قبل الرسالة، وتلقي الضوء على كثير من الصفات التي أكرمه الله بها كالصدق، والأمانة، التي شهد بها الكثيرون، ومنهم علي بن أبي طالب في قوله: كان رسول الله ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته، وقد تأخر في هجرته إلى المدينة لانشغاله برد الودائع التي كانت عند الرسول.[49] وحكمته وقدرته على تجاوز المحن؛ فكان الملجأ لأهل مكة موما حولها، وكان مباركا، رضيعا، طفلا، وشابا، واقتضت حكمة الله أن يصطفيه، وليس لأحد إلا له سبحانه الأمر من قبل ومن بعد.

هبيرة المخزومي:

لما بلغ الرسول خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبناء الكعبة[50]، ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه، كل

[47] ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والمشمائل والسير**،(بيروت: دار الجيل،١٩٧٤)، ١: ٣٩

[48] ابن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والمشمائل والسير**،١: ٣٩

[49] ابن هشام، **السيرة النبوية**،١٢٩

[50] ابن هشام، **المرجع السابق**،١: ٢٠٤

قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وتحاوروا وتخالفوا وأعدوا للقتال، وكادت نار الحرب أن تشتعل بين بني عبد الدار وبني عدي، فقربوا جفنة مملوءة دما، وتعاهدوا على الموت، ودامت الخصومة أربع ليال أو خمسا قبل أن يبادرهم أبو أمية بن المغيرة، وكان أسن قريش عامئذ: يا معشر قريش اجعلوا بينكم – فيما تختلفون فيه، أول داخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم، ففعلوا.

وكان أول من دخل عليهم رسول الله، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا هذا محمد. وعندما أخبروه الخبر قال: هلم إلي ثوبا، فأتي به، فأخذ الحجر، ووضعه فيه، وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا. ففعلوا: حتى إذا بلغوا موضعه. ووضعه هو بيده الشريفة ثم بنى عليه.[51]

يكشف هذا الحدث عن إقرار جماعي من قريش بحكمة الرسول وسداد رأيه ورجاحة عقله، وفي هذا يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

تشاجرت الأحياء في فصل خطة ... جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها بالبُغض بعد مودّة ... وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الأمر قد جَد جِدّه ... ولم يبق شيء غير سلِّ الْمهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد[52]

يصور الشاعر من خلال الأبيات السابقة الحدث بكل مجرياته، وكيف أرادت كل قبيلة أن تنال الشرف في وضع الحجر الأسود مكانه، وقد وصل الأمر بهم إلى سفك الدماء لولا إرادة الله، إذ ظهر النبي محمد وقد بدا الفرح على وجوههم بظهوره، لأنه كانت له مكانة مرموقة في مكة؛ فقد كان أهلها يلجأون إليه في حل منازعاتهم، وفي تفسير ما أخفي وغم عليهم من بعض القضايا[53]. هذا الحدث كان له أهمية خاصة عند الرسول والقبائل العربية وكذلك في قريش تحديدا، لأنه وقع قبل بعثته بما يقارب خمس سنوات[54] وقد

---

[51] ابن هشام، **المرجع السابق**،١٨٢

[52] ابن هشام، **المرجع السابق**،١٩٧

[53] ابن هشام، **المرجع السابق**،١٩٧

[54] الكعبي، عبد الحكيم، **موسوعة التاريخ الإسلامي عصر النبوة وما قبله**،(الأردن،عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م)،٢٣٨

كانت قريش تسمي رسول الله بالأمين قبل أن ينزل عليه الوحي[55]، وإلى قضية التحكيم هذه يشير عمر فروخ في كتابه تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية[56] بأن هذا التحكيم يدل على أمرين: وجاهة محمد وأسرته في قريش، وعلى مزايا محمد الشخصية التي كانت موضع احترام كبير. لقد ظهرت كثير من هذه المزايا لأهل مكة والقبائل المجاورة وقد أتى على كثير منها هبيرة في أبياته السابقة كالعدل والأمانة والحكمة في فض الخلاف، فقد أنقذ محمد مكة من حرب كادت تنشب بين القبائل وحسم الخلاف الذي كان يهدد وحدتهم، وقد يتساءل البعض ويقول من أين لهذا اليتيم الفقير بهذا الأدب الرفيع؟ وكيف اجتمعت فيه كثير من صفات النبل والأخلاق الحميدة؟

بحيرا الراهب:

وعندما بلغ الرسول اثنتي عشرة سنة من عمره، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة ورآه الراهب بحيرا أوصى عمه أن يعود به من حيث أتى ويحذر عليه اليهود. فما كان من عمه إلا أن أنهى تجارته وعاد به مسرعا إلى مكة. [57]

وكان أبو طالب عم الرسول قد أتى على ذكر اليهود في قصيدته، وكيف رد الراهب وصرف عنه كيدهم في قوله:

قوم يهود قد رآوا ما قد رآوا ظل الغمامة ثاغري الأكباد
ثاروا لقتل محمد فنهاهمو عنه و جاهد أحسن التجهاد
وثنى بحيراء ذريرا فانثنى في القوم بعد تجادلٍ وتعاد
ونهى دريسا فانتهى لَما نُهي عن قولِ حَبرٍ ناطق بسداد[58]

عندما رأى اليهود الرسول قادماً إلى بصرى، تظله الغمامة، أصروا على قتله بعدما تأكد لهم نبوته، لكن بحيرا الراهب ردّ هؤلاء الثلاثة (زريراً، هماماً، دريساً)[59] وصرف أذاهم عن محمد بعد أن حاورهم وأقنعهم بعدم التعرض له، فصدقوه وانصرفوا عنه.

---

[55]الأندلسي: أبو الفضل عياض بن عمرو اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول المصري،(مصر: مؤسسة الكتب الثقافية،١٩٩٥)،١: ١٠٨

[56]فروخ: عمر، **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**،(بيروت، لبنان: دار العلم للملايين)،٥١

[57]الصفدي، **الوافي بالوفيات**،١: ٥٧

[58]التنوجي، **ديوان أبي طالب عم النبي**،٣٩

[59]ابن هشام، **السيرة النبوية**،١٦٧

هذه صورة بسيطة تذكر بأفعال اليهود تجاه الرسل، وقد كانت قبل ظهور الرسالة وانتشار الإسلام، فكيف كانت الصورة بعد ذلك – هذا ما سنأتي على ذكره في الصفحات القادمة.

وفي رواية:

عندما خرج أبو طالب في تجارته إلى الشام، وكان أن أخرج معه محمدا بعد أن تعلق الأخير بعمه نزل الركب في بصرى بأرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا[60] في صومعة له وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، لكنه هذه المرة صنع لهم طعاما كثيرا ودعاهم للحضور صغيرا وكبيرا، لكن محمدا تخلف ولم يحضر وليمة الطعام وقد عرف هذا الراهب بعدم وجوده، فأشار إلى القوم أن يحضروا الغلام الصغير محمدا. وقام إليه واحتضنه وأجلسه معهم، وإلى تلك الحادثة يشير أبو طالب عم الرسول إلى الراهب وبصنيعه معهم ويقول:

فلما هبطنا أرض بصرى تشوّفوا	لنا فوق دور ينظرون عظام
فجاء بَحيرا عند ذلك حاشدا	لنا بِشرابٍ طيبٍ و طعام
فقال اجمعوا أصحابكم عندما رآى	فقلنا جَمعنا القوم غير غلام
يتيم فقال ادعوه إن طعامنا	له دونكم من سوقَة وإمام
فلولا الذي خبّرتُمو عن محمد	لكنتم لدَينا اليوم غير كرام[61]

هذا الراهب توسم في رسول الله النبوة، ورأى الغمامة تظله من بينهم فصنع لهم الطعام ضيافة واستدعاهم[62]،حتى لم يبق منهم حر أو عبد كبيرا أو صغيرا إلا وقد حضر مما جعل القوم يعجبون من فعله ويتساءلون عن شأنه اليوم؟[63] لقد أخذ يلحظ الغلام الصغير ويسأله عن حاله وهيئته وأموره، والرسول يخبره ويوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه.[64]

لقد تثبت بحيرا من محمد، وعرف بما قرأه في الكتب الدينية بأنه رسول الله وخاتم الأنبياء. لهذا أوصى به كثيرا عمه أبا طالب. وقد حذره من اليهود وبطشهم به، وقد أخبره بما هو كائن له من شأن عظيم.[65]

---

[60] ابن كثير، **البداية والنهاية**،١: ٢١٣

[61] التنوجي، **ديوان أبي طالب عم النبي**،٨٨؛ السهيلي، "الروض الأنف"،١: ٢٠٨

[62] ابن كثير، **البداية والنهاية**،١: ٢١٣

[63] ابن هشام، **السيرة النبوية**،١٦٦

[64] الهيتمي، **المنح الملكية في شرح الهمزية**،١: ٢٨٩

[65] ابن هشام، **السيرة النبوية**،١٦٧

تلك الحادثة كانت في طفولة الرسول، وبصحبة عمه أبي طالب، أما نبوءة الراهب الآخر فذكروا أن اسمه نسطور[66] فقد رأى الرسول مع ميسرة غلام السيدة خديجة – رضي الله عنها – في ظل شجرة واستدعى ميسرة وسأله عن الرسول وقال له ميسرة: هذا رجل من قريش وأخبره الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.[67]

ورقة بن نوفل:

ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي بن قصي القرشي، هو ابن عم خديجة بنت خويلد،[68] أنه كان يقرأ التوراة والإنجيل .كان حنيفياً موحدا حكيما جاهليا، اعتزل عبادة الأصنام في عصر الجاهلية[69]. بعد نزول الوحي على محمد بن عبد الله استدعي ورقة بن نوفل لبيت خديجة، فأقر له بالنبوة وقال له "هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى"، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ[70] توفي ورقة عام ٦١٠، بعد فترة وجيزة من نزول الوحي على النبي خلال بدايات ظهور دين الإسلام[71]

إن استغراق أهل مكة في عبادة الأوثان التي شملت جميع جوانب الحياة لديهم جعلت بعض الأفراد يضيقون ذرعا بها، فما كان منهم إلا أن اعتزلوا عبادة قومهم وتوجهوا إلى عبادة الله وحده فكان هناك الأحناف وكان النصارى ومنهم ورقة بن نوفل، حيث أقام على النصرانية، وكان يدعى (القس) .[72]
ويقول في ذلك:

لججتُ وكنتُ في الذكرى لُجُوجا ... لأمرٍ طالَما بُعث النشيجا
ووصف من خديْجة بعد وصفٍ ... فقد طال انتظاري يا خديْجا
بِما خبرتنا من قول قسٍ ... من الرهبانِ أكره أن يعُوجا
فيا ليتني إذا ما كان ذاكم ... شهدتُ وكنت أولَهم وُلُوجا[73]

---

[66] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**،١: ٦٢٠
[67] ابن هشام، **السيرة النبوية**،١٦٧
[68] ابن كثير، **البداية والنهاية**،٣: ٩-١٠
[69] شامي يحيى، **موسوعة شعراء العرب**،١: ١٨٩
[70] البخاري، **صحيح البخاري**، عن عائشة أم المؤمنين، كتاب الوحي، باب كيف بدء الوحي، حديث:٢
[71] السهيلي، **الروض الأنف**،١: ١٧٣
[72] البلاذري، **أنساب الأشراف**،١٠٦
[73] السهيلي، **الروض الأنف**،١: ١٧٣

تكشف الأبيات السابقة في جيمية ورقة بن نوفل عن التبرم من الوضع الديني والوثني الذي كان موجودا في مكة قبل الرسالة، وتعبر عن شوق وانتظار ولهفة كبيرة لظهور هذا النبي كما تدلل الأبيات على صدق ورقة وإيمانه برسالة محمد. فقد كان متابعا له وقد عرف من الإرهاصات السابقة وأقوال الأحبار والرهبان ما يثبت صحة نبوءته بمحمد.[74] ويعبر عن أمنياته أن يكون موجودا عندما يبعث الرسول، ولئن أدركه هذا اليوم ليجاهد مع الرسول.[75]ويذكر خلال شعره بأن محمد بن عبد الله مرسل إلى العالم أجمع حيث يقول:

بأن ابن عبد الله أحمد مرسلٌ إلى كل من ضُمَّتْ عليه الأباطِح
وظني به أن سوف يُبعثُ صادقا كما أُرسل العبدانِ هودٌ وصالح
وموسى وإبراهيم حتى يُرى له بَهاءٌ ومنشورٌ من الدهر واضح[76]

وهنا يبين ورقة نبوة محمد وأنه صادق مرسل من عند الله إلى كل بقاع الأرض، ويأتي على ذكر الأنبياء السابقين – ولا عجب في ذلك – فنحن نعلم أن ورقة بن نوفل قد قرأ الكتب وأخذ من روايات السابقين وأخبارهم ما يؤكد ظهور هذا النبي، وسيكون لدعوته النصر المؤزر والظهور كما حصل مع هؤلاء الأنبياء السابقين.[77]

حتى إنه يتحدث عن أتباع محمد ومن سيكون منهم، وماذا سيكون مصير دعوته وكيف سينتشر هذا الدين ليعم ضياؤه بقاع الأرض، ويذكر خير الناس من يهتدي بدعوته، ويسير على هذا الطريق، وأشرارهم من يقف عثرة ويعارض دينه فيقول:

بأن سوف يتبَعُه من لؤي ذوو الرأي والعزو الأضعف
فيظهر في الناس من بعد حين ضياءٌ له سبل مُسدِف
فخير البرية أتباعه وشر البرية من يَصْدف[78]

---

[74] ابن كثير، **البداية والنهاية**،٣: ١٠
[75] ابن كثير، **المرجع السابق**،٣: ١١
[76] ابن كثير،**البداية والنهاية**،٣: ١١
[77] ابن كثير، **المرجع السابق**،٣: ١١
[78] ايضاً

ملخص البحث:

إن الكتابة في هذا البحث تعتمد على الشعر الجاهلي الذي أتى على ذكر الرسول وصفاته الخَلقية والخُلقية، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية، وبداية الدعوة الإسلامية. تتناول هذه الورقةُ الموجزةُ جوانبَ السيرةِ النبويةِ وملامحها في الشعر الجاهلي. ولهذا أهمية بالغة في الأدب العربي الإسلامي، وفيه جانب إصلاحي للأمة الإسلامية ويحثُّ المسلمين على اتباع السيرة النبوية وأسوته الحسنة. وخاصةً قد ذُكرتْ في هذا البحث الأبيات العربية لبعض الشعراء الجاهليين ومنهم: عبد المطلب بن هاشم، وأبو طالب بن عبد المطلب، وورقة بن نوفل. وهذه الأبيات تحتوي تلميحات السيرة النبوية.

نتائج البحث:

إن هذا البحث المختصر يحتوي على تلاميح السيرة النبوية في الشعر الجاهلي، نستنتج منه النتائج التالية:

- إن الشعر الجاهلي هو أول مصدر للسيرة النبوية
- ومن المعلوم أن عصرنا هذا، زمن الشهوة والمادية، فلابد لنا أن نعالج هذه الأمراض النفسانية باتباع السيرة النبوية، لأنها مأخذ الهداية في عصرنا الحاضر.
- إن السيرة النبوية أسوة حسنة لمن أراد من البشر أن يعيش حياته كلها بالهدوء الأمن.

التوصيات والمقترحات:

يريد الباحث في هذا المكان أن يعرض بعض التوصيات والاقتراحات التي توصل إليها من خلال البحث والدراسة حول هذا الموضوع، ويتقدم ببعضها:

إن هذا البحث يحتوي السيرةِ النبويةِ في الشعر الجاهلي ولكن الموضوعاتِ المختلفةَ موجودةٌ إلى الآن في الشعر العربي والنثر العربي التي تحتاج إلى البحث والتحقيق.

وهناك جوانب عديدة حول السيرةِ النبويةِ في الشعر العربي وهي تحتاج إلى البحث والدراسة، ومنها: شمائل الرسول، وصفاته الخَلقية والخُلقية، ومعجزات الرسول، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية، وغزوات الرسول، والبعثة النبوية والدعوة الإسلامية، وصحابة الرسول رضي الله عنهم.